توبة فارس*

حدثنا الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عبدية وأحمد بن حاتم عن محمد بن حازم قال: حدثنا عمرو بن المهاجر عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه قال: أتي سعد [١] بأبي محجن [٢] يوم القادسية، وقد شرب الخمر، فأمر به إلى القيد، وكانت بسعد جراحة، فلم يخرج يومئذ إلى الناس، فصعدوا به إلى العذيب [٣] لينظر إلى الناس، واستعمل على الخيل خالد بن عرفطة . فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزنا أن ترجم الخيل بالقنا

وأترك مشدودا عليّ وثاقيا[٤]

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت

مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد شف جسمي أنني كل شارق

أعالج كبلا مصمتا قد برانيا[٥]

قعودي عن الحرب العوان وقد غدت

وإعمال غيري يوم ذاك العواليا[٦]

فلله دري يوم أترك موثقا

ويذهل عني أسرتي ورجاليا

قال: فقال لامرأة سعد خصفة: أطلقيني، ولك الله عليّ إن سلمني أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد، وإن قتلت استرحتم مني، فخلته، فوثب على فرس لسعد، يقال لها: البلقاء، ثم أخذ رمحا، ثم خرج، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم . وجعل الناس يقولون: هذا ملك ! لما يرونه يصنع . وجعل سعد يقول: الصبر صبر البلقاء، والطعن طعن أبي محجن، وأنى وأبو محجن في القيد ؟! ..

فلما هزم العدو، رجع أبو محجن حتى وضع رجليه في القيد، فأخبرت ابنة خصفة سعداً بذلك، وما كان من أمره . فقال سعد: لا والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلى [٧]، وخلى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ كان يقام علي الحد، وأطهر منها، فأما إذ بهرجتني [٨]، فلا والله لا أشربها أبداً !.. ■

الهوامش

(*)كتاب العفو والاعتذار، ٢ / ٥٩٩ تحقيق د . عبدالقدوس أبو صالح، دار البشير، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبدمناف القرشي الزهري، صحابي أمير، فتح العراق ومدائن كسرى، وكان أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد المبشرين بالجنة، توفي سنة ٥٥ هـ .

(٢) هو أبو محجن عمرو بن حبيب الثقفي، فارس شاعر، أسلم سنة ٩ هـ، وحده عمر (رضي الله عنه) مرارا على شرب الخمر، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر، فهرب حتى لحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية، وتاب عن الخمر، وتوفي سنة ٣٠ هـ .

(٣) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة، وكانت مسلحة للفرس .

(٤) رواية ابن سلام: «.. أن تطرد الخيل ..» ورواية الديوان: تطعن .. وأصبح ..» .

(٥) شف جسمه: أهزله . كل شارق: كل صباح، والشارق: الشمس . الكبل: القيد . المصمت: غير المجوف . براه: أضعفه وأهزله وأضناه .

(٦) الحرب العوان: التي كانت قبلها حرب أخرى، أو التي قوتل فيها من قبل . العوالي: الرماح .

(٧) الإبلاء: الإنعام والإحسان، يقال: أبلاه الله يبليه بلاء حسنا، إذا صنع به صنعا جميلا .

(٨) جاء في القاموس (بهرج): «وقول أبي محجن لابن أبي وقاص: بهرجتني، أي هدرتني بإسقاط الحد عني» قال: ماء مبهرج أي: لا يمنع عنه أحد، ودم مبهرج أي مهدر .